جامعة مولاي إسماعيل
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
مكناس

شعبة الدراسات الاسلامية
مجزوءة : مدخل لدراسة العلوم الإنسانية

محاضرات في
مدخل لدراسة العلوم الإنسانية
الفصل الثاني - الأفواج 3 ـ 4

الجزء الخامس

ذ محمد العمراوي

الموسم الجامعي

2019 . 2020م

المحور الرابع: نظريات علم الاجتماع الإسلامي \ الخلدوني:

أولا: الحاجة إلى إعادة صياغة علم الاجتماع وفق التصور الإسلامي:

1) التصورات الغربية الفاسدة الموجهة للعلم:

أ- فساد الخلفية المرجعية للعلم:

فعلم الاجتماع الغربي يقوم على مبادئ علمانية فاسدة تخالف عقيدة المسلمين، وتدعو إلى التمرد على الدين والقيم الأخلاقية وإبعادها عن الحياة الاجتماعية. وصار المفكرون الغربيون يهاجمون الدين باسم العلم، ويعتبرون الدين مرحلة من الماضي انتهت وحل محلها العلم.

ب- علم الاجتماع الغربي يفتقد إلى الموضوعية الحقيقية:

فالباحث الاجتماعي محكوم بخلفيات فكرية وفلسفية توجهه، وهذا يقدح في سمعة هذا العلم؛ الذي حاولوا وصفه بالموضوعية والحياد؛ من أجل إقناع الناس بنتائجه وصلاحيتها للتعميم على باقي المجتمعات من جهة، ومن جهة أخرى فإن الدعوة إلى تحري الموضوعية في تفسير الظواهر الاجتماعية، الهدف منها هو تجريد الباحث من انتمائه الديني وقيمه الأخلاقية، وتجريد المجتمع كذلك من خصوصياته الثقافية والحضارية.

ت- فشل هذا العلم في الوصول إلى الحقائق عن طريق التجريب:

ويرجع ذلك إلى صعوبة تطبيق هذا المنهج التجريبي على جميع الظواهر؛ لأنه لايؤمن إلا بالمحسوس ولا شيء بعده. كما أنه يتعامل مع الإنسان في كثير من أحواله الاجتماعية بمنطق التشييء، وهذا يحجب عنه الوصول إلى كثير من الحقائق التي لا يتوصل إليها بالتجريب والقياس.

ث- مشكلة التعميم في هذا العلم:

فعلم الاجتماع الغربي نشأ في بيئة فرنسية لها خصوصياتها الفكرية والعقدية، وكان الغرض من تأسيسه هو محاولة فهم ومعالجة المشكلات التي يعاني منها المجتمع الفرنسي. لكن رواد هذا العلم حاولوا تعميم نتائجه وإسقاطها على كل المجتمعات دون مراعاة

لخصوصياتها. ومعلوم أن لكل مجتمع مشكلاته، ومعالجة هذه المشكلات يقتضي اقتراح حلول تليق بهذا المجتمع وتلبي حاجياته.

ج- التوظيف الإديولوجي لنتائج الأبحاث:

لم يعد هذا العلم أداة معرفية ومنهجية، بل أصبح أداة إديولوجية استعمارية تخدم أهداف الدول الغربية في الدول التي حل بها علم الاجتماع؛ على المستوى الاقتصادي والسياسي والعسكري... وهذا التوظيف الإديولوجي يقدح في علمية هذا العلم.

2) الرغبة في إثبات استقلالية الذات الإسلامية:

لقد تملك الإعجاب بمنجزات الغرب عقول كثير من الباحثين العرب إلى درجة الحكم بأسبقية وأفضلية الغرب في كل شيء، وعدم الاعتراف بأي جهد للعلماء المسلمين في ابتكار العلوم وتطويرها. وكادت الذات والهوية الإسلامية تضيع في خضم عمليات التغريب والاستلاب. فاقتضت الحاجة إحياء التصور الخلدوني لهذا العلم مع تطوير مناهجه بما يتوافق مع خصوصيات المجتمع المسلم. وبهذا يكون علم الاجتماع الإسلامي مستقلا بذاته، وليس فرعا من فروع علم الاجتماع الغربي أو الديني.

3) ترسيخ الهوية الإسلامية والانضباط بالأحكام الشرعية في دراسة الظواهر:

فإذا كان علم الاجتماع الغربي يهدف إلى تجريد الباحث من خصوصياته الدينية والأخلاقية؛ فإن علم الاجتماع الإسلامي يدعو الباحث إلى الانطلاق من العقيدة الإسلامية، والتحلي بالقيم الأخلاقية في دراسة الظواهر الاجتماعية. فيجمع الباحث المسلم بين المعرفة الغيبية التي تدرك بالوحي، وبين المعرفة الواقعية التي يتوصل إليها بالبحث والاجتهاد. وبذلك تكون النتائج المتوصل إليها أقرب إلى الصواب.

4) التعبير عن الحقيقة الكاملة التي اختصت بها هذه الشريعة المباركة:

فهي شريعة صالحة لكل زمان ومكان، والحلول التي تقدمها حلول ناجعة لكل مشكلات الإنسان؛ بما تتضمنه من أصول قطعية وقواعد عامة. وبذلك تكون قادرة على معالجة قضايا العالم كله وليس قضايا المسلمين فقط.

ثانيا: أسس ومبادئ علم الاجتماع الإسلامي:

1) بناء علم الاجتماع على أسس العقيدة الإسلامية:

الانطلاق من العقيدة يصحح ويوجه تصور الإنسان ونظرته للكون والحياة. فتكون غاية علم الاجتماع كغيره من العلوم؛ هي ربط الإنسان بربه، وتقريب المسافة بينه وبين خالقه. ويظل الباحث مشغولا دائما بقضايا الإسلام والمسلمين، ويستطيع التمييز في العلوم الدخيلة بين ما يوافق الدين وما يعاديه...

2) الاحتكام إلى قواعد الشريعة وأحكامها:

لابد لعالم الاجتماع أن يراعي أحكام الشريعة وقواعدها في كل خطوة يقوم بها، ومدى موافقتها أو مخالفتها للشرع، كما يدفعه ذلك إلى التسليم وبدون تردد بالأحكام التي جاء بها الإسلام لتنظيم شؤون الحياة؛ لأن هذه الأحكام تمثل الحلول الحقيقية للمشكلات الإنسانية؛ لأنها مستمدة من شريعة تتصف بالكمال.

3) القيم والمبادئ الأخلاقية:

يجب على الباحث أن يتمثل قيم الإسلام ومبادئه الأخلاقية، ويعمل على ترسيخها في الدراسات التي يقوم بها. وبذلك يتجاوز كل النقائص والعيوب التي تعتري علم الاجتماع الغربي، فيتعامل مع الإنسان على أساس أنه مخلوق مكرم دون تشييئه.

4) استنبات الخير ومدافعة الشر:

ينبغي لعالم الاجتماع أن ينظر إلى الكون والواقع الاجتماعي على أساس أنه خلق لخدمة الإنسان، وهو فضاء لممارسة التدين والاستخلاف، وأن الإنسان ملزم بالحفاظ على صلاحه والعمل على إعماره. فلا يقتصر دور علم الاجتماع على وصف وتحليل الظواهر، بل ينبغي أن يتعداه إلى التمييز بين ما هو نافع فيعمل على ترسيخه والدعوة إليه، وبين ما هو ضار فيعمل على دفعه وتصويبه.

ثالثا: مصادر التلقي والمعرفة في علم الاجتماع الإسلامي:

1) مصدر الوحي:

لا توصف العلوم بأنها إسلامية إلا إذا كانت تستمد الشرعية من القرآن والسنة وتسير وفق ما جاء فيهما من أحكام وتوجيهات ولا تخالفها. ومن غير المقبول أن تدرس الظواهر دون ربطها بنصوص الوحي التي تؤطر سلوك الأفراد وتنظم شؤون الحياة بصفة عامة، لأن العقل لا يستطيع فهم الظواهر فهما دقيقا، ولا يمكنه كشف القوانين الحقيقية إلا بالرجوع إلى الوحي وما جاء فيه من السنن الإلهية.

2) تراث العلماء السابقين:

وهو تراث عقلي بشري، واجتهاد قد يصيب فيه صاحبه وقد يخطئ، ويمكن للباحث أن يستفيد مما ظهر صوابه مع تطوير ما ظهر خطأه. كما يستفيد من منهج العلماء السابقين في طلب الحق وبلوغ الصواب دون تعصب أو تحيز، والحفاظ على الهوية الإسلامية والدفاع عن قداسة النص الديني.

3) الاستفادة من تجارب وخبرات غير المسلمين:

ليس كل ما كتبه الغرب يعتبرا مذموما ومعاديا للإسلام، بل هناك من الباحثين المنصفين من يسعى إلى معرفة الحق واتباعه، دون أن تكون لهم أهداف إديولوجية يحققونها عن طريق البحث. والمطلوب من الباحث المسلم أن ينفتح ويتفاعل مع التراث الإنساني بصفة عامة، ويميز فيه بين النافع المفيد وغيره. فنستفيد من الغرب في بعض مناهج البحث وطرق التوثيق والتصنيف وكيفية الوصول إلى المعلومات بأقل جهد...